ابن تيمية يصف الأمة في زمانه

الكاتب : أنور قاسم الخضري

التاريخ : 31 ديسمبر 2012 م

المشاهدات : 5456

إن حديث الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ حول الفتن التي تمحص الناس إلى فسطاطين (فسطاط إيمان لا نفاق فيه) و(فسطاط نفاق لا إيمان فيه) تتجلى اليوم في التمحيص الذي يجري على أرض الواقع بفلسطين ومصر وسوريا وغيرها من الدول التي تشهد تمايز القوى والحركات إلى (إسلامية) و(غير إسلامية)، إلى (مبدأية) و(غير مبدأية)، وهكذا ستمضي سنة الله في حين أن (أكثر الناس لا يعلمون)

يقول ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في وصف شأن الأمة في زمانه، وكأنه ينظر من نافذة على عصرنا اليوم:

"قد جَاءَ في حديثٍ آخَرَ في صفةِ الطَّائفةِ المَنصُورَةِ أَنَّهم بأَكنَافِ البَيتِ المُقَدَّسِ، وهذه الطَّائفةُ هي الَّتي بأَكنَافِ البَيتِ المُقَدَّسِ اليومَ، ومَن يَدَّبَّرُ أَحوَالَ العَالَمِ في هذا الوقتِ عَلِمَ أَنَّ هذه الطَّائفةَ هي أَقوَمُ الطَّوائفِ بدينِ الإسلامِ عِلماً وعَمَلًا وجِهَادًا عن شرقِ الأَرضِ وغربِها، فَإِنَّهم هم الَّذين يُقَاتِلُونَ أَهلَ الشَّوكَةِ العَظِيمَةِ مِن المُشرِكِينَ، وأَهلِ الكِتَابِ، ومَغَازِيهم مع النَّصارى، ومع المُشرِكِينَ مِن التُّركِ، ومع الزَّنَادِقَةِ المُنَافقينَ مِن الدَّاخِلِينَ في الرَّافِضَةِ وغَيرِهم: كالإسماعِيلِيَّةِ، ونَحوِهم مِن القَرَامِطَةِ، مَعرُوفَةٌ مَعلُومَةٌ قَدِيمًا وحَدِيثًا؛ والعِزُّ الَّذي لِلمُسلِمِينَ بِمَشَارِقِ الأَرضِ ومَغَارِبِهَا هو بِعِزِّهِم، ولهذا لَمَّا هُزِمُوا سَنَةَ تِسعٍ وتِسعِينَ وسِتِّمِائَةٍ دَخَلَ على أَهلِ الإسلَامِ مِن الذُّلِّ والمُصِيبَةِ بِمَشَارِقِ الأَرضِ ومَغَارِبِهَا مَا لا يَعلَمُهُ إِلَّا الله، والحِكَايَاتُ في ذلك كَثِيرَةٌ ليس هَذَا مَوضِعَهَا.

وذلك أَنَّ سُكَّانَ اليَمَنِ في هذا الوَقتِ ضِعَافٌ عَاجِزُونَ عن الجِهَادِ، أَو مُضَيِّعُونَ لهُ، وهم مُطِيعُونَ لِمَن مَلَكَ هَذِهِ البِلَادَ حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهم أَرسَلُوا بالسَّمعِ والطَّاعةِ لِهؤُلاءِ...؛ وأَمَّا سُكَّانُ الحِجَازِ فَأَكثَرُهم أَو كَثِيرٌ مِنهم خَارِجُونَ عن الشَّرِيعَةِ، وفيهم مِن البِدَعِ والضَّلَالِ والفُجُورِ ما لا يَعلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وأَهلُ الإيمَانِ والدِّينِ فِيهم مُستَضعَفُونَ عَاجِزُونَ....، وأَمَّا بلادُ إفرِيقِيَّةَ فَأَعرَابُها غَالِبُونَ عليها، وهم مِن شَرِّ الخَلقِ بل هم مُستَحِقُّونَ لِلجِهَادِ والغَزوِ.

وأَمَّا الغَربُ الأَقصَى فمع استِيلاءِ الإفرِنجِ على أَكثرِ بِلادِهم لا يَقُومُونَ بِجِهَادِ النَّصارى الَّذين هناك، بل في عَسكَرِهم مِن

النَّصارى الَّذين يَحمِلُونَ الصُّلبانَ خَلقٌ عَظِيمٌ، ولو استَولَى التَّتَارُ على هذه البلادِ لكان أَهلُ المـَغرِبِ مَعَهم مِن أَذَلِّ النَّاسِ لا سِيَّمَا والنَّصارى تَدخُلُ مع التَّتَارِ فَيَصِيرُونَ حِزباً على أَهلِ المـَغرِبِ.

فهذا وغَيرُهُ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ هذه العِصَابَةَ الَّتي بالشَّامِ ومِصرَ في هذا الوَقتِ هم كَتِيبَةُ الإِسلامِ، وعِزُّهم عِزُّ الإِسلامِ، وذُلُّهم ذُلُّ الإِسلامِ، فلَو استَولَى عليهم التَّتَارُ لم يَبقَ للإِسلامِ عِزٌّ ولا كَلِمَةٌ عَالِيَةٌ، ولا طَائِفَةٌ ظَاهِرَةٌ عَالِيَةٌ يَخَافُهَا أَهلُ الأَرضِ تُقَاتِلُ عَنهُ..."!

المصادر: